الابداع والبصمة

ما الذي كان يتوقعه متابعو "محمد خضير"؟

[قصة قصيرة/تنظيرات/نقد/متابعة/رواية/ مذكرات/مقدمات]!

ولمحمد خضير متابعون حقيقيون كثار [محليون وعرب، وأجانب]، [قراء ونقاد، ومثقفون] كل يبحث عن مرجعية ما أو رعوية ما يكتب القاص أو تأويل ما ينسج المتكلم، البعض يحاول أن يقرأ ما خلف السطور وما بينها والبعض الآخر يدس محساته في حقول ما تم محود ليضع يده على تناص أو تماثل أو تجاوز أو ابداع.

هل كان الآخرون "ونحن معهم" يتوقعون أن يكتب "محمد خضير" رواية أو عملاً سردياً، أو كتاباً عن حدث ساخن [يدخل عقده الثاني وما زال يبث ويرسل تأثيراته ولم يتوقف بعد] ومنذ أحد عشرا عاماً؟!

حدث لم يوضع في ثلاجة. فما زال يمارس عملية الارسال ويتفوق. ولم ينضج على نار هادئة. ما زال حاملاً تناقضاته في البقاء والالغاء، في الحياة والموت.

بل حدث ما زلنا نشم رائحة الحرائق من بين جوانبه "اشتعال الخليج" الثاني الذي ما زال متأججاً برغم انطفائه منذ أكثر من عقد.

الجندي الأبدي وحائك الكلام

حميد حسن جعفر

هل من الممكن أن يكتب "محمد خضير" رواية ذات بداية ونهاية، ذات حبكة وعقدة، أبطالها أناس اعتياديون -لا يثيرون انتباهاً، ولا يغيرون حدثاً، ولا ينشؤون عملاً وقد أوهاً لأشخاص غير موهوبين، غير قادرين على أن يحفروا بئراً أيابرة، غير قادرين على أن يغيروا مجرى جدول وليس مجرى التاريخ.

إن البدع من الكتاب لا بد له من أن يقتن فوضاه، لا أن يفرط بقوانين النظام. أبطال متميزون وليسوا شاذين. يمد يده -البدع. ولكن ليست كالحواة. في الحياة العادية/ الاضطرارية/ الرتيبة ليمسك بالاستثناء مستخرجاً إياه من رحم القاعدة مستخرجاً أبطالاً [رجالاً ونساء/ جغرافية وتاريخاً] لا يعانون من عوق جسماني أو فكري بل أبطال مكتملون، إكتملوا بما يبحثون عنه، إذ أن اكتمال الشيء -إنساناً أو حدثاً، إبداعاً أو فكراً- يعني وضع الإصبع على النقص النادي أو الروحي أو الفكري ليتم الاكتمال وذلك من أجل خلق البديل الكمل. إن اكتمال الطبيعة حالة غير متوفرة.

واكتمال الإنسان -والإنسان جزء من كل- وضع غير وارد. بل وضع غير مرغوب فيه فالاكتمال يعني (اكتمال الدائرة والتقاء اليمين بالشمال) التوقف عن البحث، وإصابة هذا الجانب من الحياة أو ذاك بالشلل.

والإصابة بالشلل هي حالة من حالات النقص.

إن الاكتمال يعني التوقف عن العطاء والإبداع، وبالتالي وضعه داخل الثلاجة وانعدام حاجة الإنسان إليه.

ليخرج إلى البرية باحثاً عما يثير في داخله الحركة، ويحرك الفتنة، ويثير النزعات [إن كانت هناك بقية فتنة ورميم عدم رضا].

ليقضي على النمطية في الحياة والخمول في التفكير، والتقوقع لدى المتلقي.

فلا ثابت في الحياة "ما دامت الحياة لم تنتقل بعد إلى العالم الثاني" بعيداً عن سلطة الإبداع السابق، بعيداً عن قوة السائد في داخل المتلقي.

فالإبداع له قوة تدميرية كبرى لكل قيم السكون، وقوانين الثبات ومصادر الأمن من ماء النطف، فلا بد للإبداع من أن يواجه الرفض وعدم الرضا، وانعدام القناعة لدى المستهلك -المتلقي- المستقبل من الوجهة التجارية [صناعة الثقافة] والقارئ الهاضم الواقع تحت سيطرة التغيير من الوجهة الإبداعية [الخلق الثقافي] للوصول إلى رؤية المبدع الأول الذي لم يدخل "المحاولة" بل دخل حالة الإبدال والتغيير [حالة الإنقلاب والثورة].

وتثوير الأداة وصولاً إلى منجز جديد [يعتمد ولا يعتمد] على المحيط الأول للحدث [المجتمع/ الطبيعة/ الثورة/ الحرب/ الإنسان].

فلا طريق للوصول إلى الإبداع إلا من خلال الإنسان -الحدث.

(الحدث الاستثناء

الإنسان غير الاعتيادي)

ومن الاستثناء واللا اعتيادي يتكون الكثير من النسيج الإبداعي ولولا هذه الحالة -النسبية- لما تمكن الإنسان عموماً والمبدع خاصة من الوصول إلى الجديد والحداثة.

فنحن بحاجة إلى العمل الإبداعي -شعراً أم سرداً، بحاجة إلى الاستثناء- البصمة التي لا تتكرر.

خطوط الخوف

إن الكاتب في عمله هذا يتجاوز خطوط الخوف متسلحاً بالجرأة على تجاوز المسموح به، والتعارف عليه، والخوض بما وراءها، والبحث عن الفاكهة المحرمة التي تمنحه المعرفة والدراية [لذة الدهشة] والحكمة.

لكي يمسك بالسمكة وهي داخل ماء النهر (وليست ماء الحوض) من غير أن يستخدم تيار أكهربائياً أو جهازاً [شبكة] أو يطعمها السم [الزهر].

فإذا بها [السمكة/ القصة] وقد تحولت إلى جنة عدن بين يديه.

إن استمرار القصة (أو الحكاية أو (النسيج الكلامي) بالتمتع بحياتها) بحاجة إلى مبدع بإمكانه أن يخلق لها بحيرة كبيرة.

وعلى السمكة / القصة أن تتصور هذه البحيرة (التي يبتدعها القاص، إذ أن القصة يجب أن تكون كائناً) بأنها البحر أو المياه العذبة / النهر لكي تستمر فورة حياتها الطبيعية.

إن القاص المبدع يمتلك الخوارق (الحالات اللاطبيعية) عبر خلق الواقع الأسطوري الذي لم يكن كذلك قبل دخوله "مختبر السارد".

وكذلك قدرته على إحياء الميت / الحاصل من القص أو الحكي، وإخراج الدفين / المخفي من الحكي / الكلام وبعثه إلى الحياة ممتلئاً بالحيوي من الحركة المذبة على عقل الطرفة شهادة قانطة على لاسلكي قبل.

يمنحان الكاتب قوة التأثير على المتلقي في أن ما يقرأه لم يكن سوى الوجه الآخر للواقع المعيش، والذي يدعو إلى مستقبل ينهض من رحم الماضي العقلاني، ويبعث وسط عالم التخيل حالات متداخلة، متوائمة، لا متداخلة متضاربة، خالقة عالماً خرافياً (لا خرافاتياً) بعيداً عن الشيخوخة والخرف، إنها الأسطورة التي لا تعترف بفقدان الذاكرة.

إن قيام محمد خضير بالنسيج على منوال المدن الفاضلة (للكثيرين من المبدعين الذين رسموا مدنهم "يوتوبياتهم") مدينته الفاضلة "بصريا" والتي بات عبر كل عمل أدبي إبداعي يقدمه للقارئ المتابع، يضيف، ويغير لبنة -إلى / في- جدران مدينته المتميزة والتي تمنحه بطاقة الدخول إلى عالم الإبداع والعطاء للوصول إلى جذور الرؤيا الأخلاقية للإنسان الفاضل / المتلقي.

في (بين يوتوبيات عديدة لا تصلح للإقامة الأبدية أفكر بمدينتي الخاصة) ص 84 بهذا يقول محمد خضير في مدينة الرؤيا -في الحكاية الجديدة.

إن (إشاعية النصوص) وانعدام رعويتها للفرد الواحد، من (الكتابة حفلة تنكرية) ص 101 تفضح موت المؤلف الأول، لتفسح المجال أمام المبدعين، ليتلقوا النص الشفاهي، أو النص المكتوب، المجهول المبدع، ويدخلوه (حفلتهم التنكرية)، سابغين عليه من أفكارهم ورؤاهم، وستقبليتهم الشيء الكثير، لكي يتحول بالتالي إلى نص لا يحمل من العمل القديم سوى الجينات، إنها (حالة الانبعاث) والمتوفرة ضمن حالات الرجعة في الفكر الديني. أي حالة من حالات خلق المدينة الفاضلة الخيالية (المتخيلة) ضمن تصور الخيال الجمعي والتي لم يمس جدرانها إنسان والتي لا وجود لها فوق الجذور.

من قال أو يقول إن الجذور لا علاقة لها بما فوق السطح؟

-فما دام "الفوق" يختلف (مختلفاً)، إذاً "التحت" يختلف أيضاً (مختلفاً) بالامتداد الحكائي المتد بعيداً في الزمن وغباره، لابد له من أن يعطينا على يد (حكواتي) مبدع، (هو أحد أحفاد "خالد" أو "سليمان" أو "سعيد") مداً وسعاً، سامياً، لا يتسلق، أو يزحف، بل يقف من غير عكازات من "الحكاية- القص".

إبداع رائع ممتلئ بالمتخيل الواقعي السابح بواقع لم يتنفس هو نا نحن بعد (الواقع الغريب المتلئ بالرموز والتأويلات، وقبول تعدد المعاني والإحالات والقراءات، والتفسيرات، والاستنتاجات التي لا تشابه، والتجارب التي تفقد نتائجها مهما تعددت مرات كتابتها أو قراءتها).

إن محمد خضير (مستمر منذ (بطاقته البحرية) 1966 وحتى بدايات المائة الأولى من الألفية الثالثة) مستمر في رسم، ووضع تخطيطات مدنه، بل مدينته، التي انسحب عنها البحر تاركاً إياها للصحراء أنه لخلق الجديد للمدينة المعطلة "الوجلة الانبعاث".

إن وضوح الرؤية وحقيقة الحلم والعمل البايولوجي، أما الصفات فلا ترجع لسوى الحداثة - رؤية وأبعاداً- أبطالاً وأفكاراً، نتائج ومصائراً، وليطل علينا العمل عالماً جديداً كل الجدة تعطينا إياه بحتمية تتكئ على جدرانه، مفترشين أرضيته العابقة، بسحر الماضي الزكي - وبالحلم المستقبلي.

إن جميع المبدعين من طبقة واحدة. إحساسها رفض السائد ومحاربة النمطية. فهم في حركة دائمة، يمكن أن تكون حرباً أشرسة، قد يدفعون حيواتهم ثمناً لهذا الإبداع، أو تلك الحداثة، سلاحهم فيها الفكر النظيف، والخيال الإنساني الأخاذ والحرف البناء الفاضل.

إن النساج "محمد خضير" يجمع معالم مدينته (مكعبة) من محاسن المدن القديمة، بوابتها من هذه / وبرج اتصالاتها من تلك (قد يكون منارة سوق الغزل بعد التمويه) صورة من مدن سومرية / مكعب من غوبا / خيال من بيكاسو، واضعاً شخصياته وسط ساحات هذي المدن - حاملة الفوانيس (الفكر البناء / الحلم).

إن خداع البصر يأخذ منا الشيء الكثير، والواقع يضربنا بيد من حديد على أم جماجمنا، يسلب منا حلمنا، ويوقظنا على واقع "خرب" أسود. لنبدأ بالدفاع عن أنفسنا ومدننا بالحلم الذي يرسمه الكاتب بالقلم - ويكتبه بالفرشاة، ليعوضنا عما فقدناه.

إن المدن التي تحاول الحروب أن تكتسحها لم تكن نكرة، بل فيها من جنات الأرض ما يغنينا عن البحث عن أصولها، ففيها ملامح من (جنة عدن)، وسمات من مدن (عاد وثمود) إن الكاتب يلغي أقواماً ليحل آخرين أكثر إنسانية، ويمحو جدراناً، ليزرع بدلها فضاءات من الحكمة، وحلماً قديماً كفي لبناء مدن عدة لا جناحاً من مدينة تقف عند حافة الصحراء. ما زالت تتذكر عتبة المازني، والزنج، وأفواج الجنود السيخ و"النورفولكيون" والكركه، الذي ضحت بهم الملكة من أجل المملكة.

إنها المدينة التي لا تمنح رعويتها ورعايتها إلا للشرفاء من القاتلين وللنبلاء من البناة أما الغزاة فمزميهم إلى البحر.

إن محمد خضير يقدم لقارءه رواية مفتوحة لحمتها الفن ونسجيها الأدب، ليكشف أستاراً، ويفضح نوايا، ويقول كلمته التي يجب أن تقال.

إن (كراسة كانون) سجل لإنسانية العراقي، لشرف السياب ومحمد جنداري والبريكان وموسى كريدي، إنها عمود من الضوء عمره سبعة آلاف عام من شرف الحضارات والدنيات.

لقد كان محمد خضير حائك كلام نبيلاً، ومصمم نص إبداعي، وصانع ألوان كاشفة وواضع تخطيطات لا تخطئ، والجندي الأبدي (السقراطي) لمدنه الأمينة على لبنانها.

إنه مؤسس المملكة السوداء الناصعة البياض.

وزارة الثقافة تصمم على المثقفين للمناقشة وثيقة النهج والخطوات التنفيذية لعملها

عممت وزارة الثقافة العراقية على عدد من المثقفين العراقيين وثيقة النهج الذي ستعتمده في عملها للمرحلة المقبلة، والذي يتضمن الافاق المقترحة للواقع الثقافي، بعد سقوط ثقافة المقابر الجماعية والحروب العشوائية والانقلابات، واجبار المثقفين على الاذعان في الداخل او الهجرة خارج الزمن، حيث الوحدة والاستلاب والموت الروحي والجسدي بعيداً عن الوطن.

ويؤكد النهج الجديد على ان الثقافة العراقية تقف اليوم امام ابهى انجازات الانسان في مجالات الحقوق والمعرفة وثورة التكنولوجيا، وهو ما يحتم مسؤولية قلب كل الشروط التعسفية التي قيدت رؤانا وارادتنا، والانتقال نحو مباهج الفعل الاجتماعي الخلاق المتجسدة في المنجز الجمالي المشروط بالحرية والتنوع واحترام القيم الانسانية.

ويشير التعميم الى ان (الفرصة قد حانت لطرح البدائل وتغيير الثقافة وتحويلها الى ظاهرة اجتماعية وفنية تعم البلد.. إذ الا يمكن تحرير المجتمع دون تغيير بنية الثقافة) وانطلاقاً من ادراك وزارة الثقافة مضار اي توجه ايدلوجي مغلق لثقافتنا، آخذة بسمة العصر التجلية بتعدد الثقافات، تعتبر ان التنوع الديني مصدر غنى قوة لمجتمعنا ومن هنا ستعمل الوزارة على دعم البحوث والدراسات والحوارات والفنون التي تظهر ان جوهر الاديان هو التسامح والحرص على الحياة، وكذلك ستكون مسؤولة عن رعاية ودعم ثقافة كل قومية او جماعة على حدة والحفاظ على ما هو مشترك واصيل.

ويؤكد نهج الوزارة أيضاً على مد جسور التواصل مع المحيط الثقافي العربي، وتطوير علاقاتها مع المنظمات الثقافية الدولية وخاصة منظمة اليونسكو، بالرغم من الموقف المؤسف للعديد من المنظمات الثقافية الرسمية والمهنية العربية من قضية شعبنا.

واردفت التعميم بأهم النقاط التي ينبغي على الوزارة تنفيذها في الوقت الحاضر، والتي تتعلق بتنظيم عمل الوزارة وبرامج عملها للفترة المقبلة.

ودعت الوزارة المثقفين العراقيين الى تسليم ملاحظاتهم وارائهم بشأن هذه الوثيقة قبل نهاية كانون الثاني الحالي.

بدون مرايا

يحيى صاحب

عصير فاكهة خارصين ، اخضر ، يذعن لشفة،
متخذاً، شكل قدح غريب، ملغوم بأشعة سينية.
لولبياً يتحرّك
مثل حذف كبير.
مثل أوراق شجرة ، يلقيها خريف غير منظور
لدودة
أبدية.

قدح عصير الرزّ المرّ.
الواقع الذي بدون مرايا.

مخيا المساء المجهد لزج، شديد اللزوجة.
ما الذي تخفيه في قوارير للقلب؟
فسيح كأفق
ة هذا الغمار.
ما الذي تريد
منه ؟ القطن
والشاش
وحدهما على
الجُرح.
صباح مستنسخ وأشياء
محظورة على الرجل
الفوتوغرافي.

من مجموعة : حقول
غير مشمسة 95

زهير الجزائري في أوراق شاهد حرب:

شيء من ماض لا يمضي

كامل شياع

للمخيم في الحنة الفلسطينية مقام الواقع والمجاز. فلئن اكتسب اسمه من وظيفته كمكان لإيواء النبعدين والنازحين داخل ما بقي من أرض فلسطين وفي البلدان العربية قبل نكبة 1948 وبعدها، فقد غدا اليوم نتيجة شراسة التوسع الاستيطاني الصهيوني التواصل في الضفة والقطاع واقعاً يهدد أهل البلد كلهم على أرض ينتمون إليها بحكم الطبيعة والتاريخ. منطق القوة الغتصبة يريد لكل فلسطيني أن يكون لاجئاً من أجل أن يستتب أمن الدولة العبرية الستحيل وسلامها الأسطوري الوعود. الخيم هو كذلك مجاز للاقتلاع من الأرض، للهوية الهددة، وللشتات الفلسطيني في جماعات تأسرها الحاجة وتنقصها "متيازات" اللجوء ويهددها عدم الاستقرار ويذلها التهميش والبؤس. الخيم ببعديه الواقعي والجازي يعكس حقيقة شعب أزيح من الخريطة وصودر حقه في الوطن والدولة كما تصادر أية فكرة فائضة. لكنه أيضاً يعكس بؤرة مقاومة ورفض نبتت خارج أرض فلسطين التاريخية في منتصف الستينيات، لتستقر عليها وهي في أشد حالاتها تفجراً واضطراماً.

كتاب زهير الجزائري ((أوراق شاهد حرب)) الصادر مؤخراً عن دار مؤسسة مواطن في رام الله، لا ينشغل في تأمل الخيم كفكرة مجردة أو كمجاز لمصير شعب يصنع تاريخه من منفاه، لأنه يبحث عن معنى الخيم في يومياته وتحولاته الظاهرة وماسيه الكشوفة وانتفاضاته الغاضبة. رافق الجزائري الرحلة الفلسطينية من مخيمات اللاجئين في الأردن التي دخلها كصحفي يختبر الانتماء والغامرة في نهاية الستينيات، ليقيم منذ بداية الثمانينيات في مخيماتهم بلبنان لاجئاً عند لاجئين!. النصوص التي ضمها كتابه متفاوتة في أسلوبها بين التقرير الصحفي والمقالة والقصة القصيرة، لكنها جميعاً تتوفر على قدر عال من البوح والرصد الدقيق لأبعادها السياسية والإنسانية. يكتشف الكاتب أنه في الخيم رأى الوليد الأول والقتيل الأول معلقاً أنه سيتذكرهما كلما عاد إلى الخيم "التقلب، القاتل، القصوف، الحاضر". الخيم هو وحدة تناقضات بين الماضي والحاضر، بين الآباء والأبناء بين المرأة والرجل، بين الأجيال والقيم، بين العائلة والتنظيم السياسي، بين فكرة الوطن المجردة وذاكرة الأرض الحية. بعض هذه التناقضات التي يسرد الكتاب تفاصيلها بالأسماء والواقف، وجد له حلولاً جزئية ومؤقتة بفعل سلسلة الكوارث التي جلبتها حروب الخيمات. لكن الحلول التي فرضتها الضرورات العملية تبدو ثانوية إزاء التناقض الكبير بين الموت والحياة الذي أطبق على الخيم في مجازر أيلول 1970 وما تلاها حتى صبرا وشاتيلا. ويسجل الكاتب شهادات مرعبة للناجين من مذابح تل الزعتر التي كللت الفصل الدامي الأول من الفصول الرهيبة للحرب الأهلية اللبنانية. إحدى ممرضات الخيم عاشت شهور الحصار المريرة تذكر "أن في ليلة واحدة داومت فيها في الهلال الأحمر استشهد 25 من الجرحى بينهم جريح كانت إصابته خفيفة". نتيجة القصف التواصل والقنص، وصل عدد الإصابات بين النساء والأطفال الذين كانوا يجازفون بجلب الماء من الأنبوب الوحيد في الخيم إلى 30 إصابة في اليوم الواحد، وفق رواية طبيب من الخيم. بعد التوصل إلى اتفاق مع الكتائب خرج السكان الدنيون، غير إن الموت كان ينتظرهم عند حواجز القوات الحاصرة. كان أفرادها "ينتقون الشباب والصبيان ويجرونهم خارج الصف ويطلقون عليهم النار فوراً أمام أمهاتهم وآبائهم وإخوتهم" حسب شهادة أم فلسطينية. وتذكر أن شاباً اسمه محمود ياسين "وضعوا الحبل في عنقه وسحبوه بالكميون (الشاحنة) فتوفى وهو يرفس... بعد ذلك وضعوا صفاً طويلاً من الرجال وتحرك الكميون باتجاههم وأخذ يدوس فوقهم". تلك الأم سمعت أحد الكتائبيين يقول "أحسن ما نخسر عليكم رصاص"!!! من جحيم الخيم خرج أطفال رأوا بأعينهم أهاليهم يبادون بمنتهى القسوة والتنكيل، وغادروا الطفولة قبل الأوان تلاحقهم أشباح الماضي وتفاصيله السوداء.

عن بيروت الحرب الأهلية ومخيماتها التأهبة والخترقة، رسم كتاب الجزائري لوحات مكثفة وموحية مصوراً القناص كقاتل كسول "يرى العالم كله في دائرة يقطعها صليب"، والتاريس حين تحول واجهات المدينة إلى أشبه بثكنة صحراوية من أكياس رملية، والقصف العشوائي وهو يجعل من الحياة مصادفة عابرة، وحالة النفير العام وهي تباغت الجميع وتوقظ عند القاتل غريزة العنف لأن "يهرب من الحرب، ولكن باتجاهها". أما العبوات الناسفة التي تداهم الحياة العادية في لحظات الغفلة والنسيان لتديم الخوف والوسواس، فإن انفجارها يغير خلال لحظات مشهداً بأكمله أحياناً كتلك البناية التي حين اقتلعت من أساسها تناثر البشر مع شظاياها. إحدى الجارات رأت "رجلين صعدا عالياً إلى السماء مع قاع الغرفة والسجادة وهما يلعبان النرد ومعهما التلفزيون وعلى شاشته ما تزال صورة لغنية اللعوب". مشهد سوريالي من زمن اجتاحته نزعة عمياء للتدمير!!.

التدمير لم يأت فقط متسللاً من الواقع القريبة، بل كان يهبط أيضاً من سماء تخترقها الطائرات الإسرائيلية الغازية كل يوم. "تنزل الطائرة "يقول الجزائري" فأرى قدومها بلحم ظهري وأنا أبتعد عن المكان، وعين الطيار تتجه إلي بالتحديد وهذا الأزيز يصعد من داخلي. لقد سكنت الطائرات مخيلتي وقبل ذلك مخيلة أبدتي التي تخاف أن تفتح ستارة النافذة، لأن الطائرة تنتظرها وراء الزجاج". في يوم معلوم هو صباح الجمعة 17 تموز 1981 قصف الإسرائيليون الفاكهاني.

وهو يسجل الوقائع الفظيعة للمخيم، لم يدخر الجزائري نقد منظمات المقاومة التي انفصلت عن الفئات السحوقة في القاعدة نتيجة تنافسها على النفوذ وتكاثر أجهزتها البيروقراطية وتسلل الفساد إليها. ويصور في لوحة كاريكاتيرية لاذعة زعيماً لدويلة حارة أو زقاق أحاطها بحرس حدود ووزع فيها جيشه "النظامي" وصار يتنقل فيها محصناً بحماية الحراس وجعجعة السلاح.

((أوراق شاهد حرب)) هي عن كل تلك الوقائع الغريبة والاستثنائية، لكنها قبل كل شيء نداء لرد الاعتبار للحياة الهددة بعبثية الحروب الصغيرة والكبيرة.